كتاب العدد

مبادئ السيميوطيقا العامة

تأليف: جان ماري كلانكينبرج

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة العلوم الإنسانية

جامعة ديبوك، 1996

(501) صفحة من حجم الجيب الصغير

عرض: د. جميل حمداوي

jamilhamdaoui@yahoo.fr

توطئة:

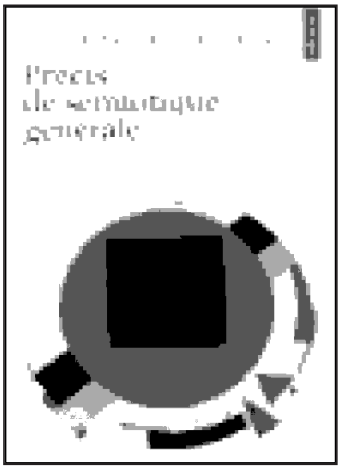

من المعلوم أن السيميائيات (sémiologie) هي علم العلامات والرموز والإشارات والأيقونات والمخططات، أو هي دراسة العلامات اللسانية وغير اللسانية في حضن المجتمع. والآتي، أنها تبحث عن الدلالة أو المقصدية التواصلية في الخطابات اللغوية والأنظمة البصرية غير اللفظية،عبر المرور بمجموعة من الأنظمة الشكلية المجردة التي تتحكم في بناء هذه الدلالة وتوليدها. ومن المعروف أن السميائيات أنواع عدة، فهناك السميائيات العامة (sémiologie générale) التي تدرس العلامات بشكل عام، وتضع أنظمة وقواعد عامة لفهمها نظرياً وتطبيقياً، وتتخذ هذه السيميائيات بعداً فلسفياً مجرداً، وتتداخل مع مجموعة من المعارف والعلوم. ومن جهة أخرى، هناك السيميائيات الخاصة المتعلقة بمجال معين أو نظام خاص كسيميائيات الصورة مثلاً، وهناك سيميوطيقا الخطاب أو السيميائيات التحليلية المرتبطة بسميوطيقا الشعر، أو سميوطيقا السرد، أو سميوطيقا المسرح. وبطريقة أخرى، فهناك السيميولوجيا (sémiologie) التي تعنى بدراسة العلامات بصفة عامة، والسيميوطيقا (sémiotique)التي تهتم بتحليل الخطابات والنصوص، كأن نقول: سيميوطيقا الشعر، وسيميوطيقا المسرح، وسيميوطيقا السينما.

هذا، ويشهد تاريخنا الحديث والمعاصر مجموعة من السيميائيين البارزين في الغرب، كفرديناند دوسوسير، وشارل ساندرس بيرس، ورولان بارت، وكريماص، وجوزيف كورتيس، وجاك مولينو، وأمبرطو إيكو، وميشيل ريفاتير، وجوليا كريستيفا، وبول ريكور، وجاك فونتانيي، و«جماعة مو»، وكريستيان ميتز، وهيلبو، وغيرهم. وما يهمنا في هذه السلسلة السيميائية هو جان ماري كلانكينبرج (Jean–Marie Klinkenberg)، وقد عرف بكتابه القيم: «مختصر السيميوطيقا العامة/ Précis de sémiotique générale». إذاً، ما هي مضامين هذا الكتاب؟ وما هو تصور جان ماري كلانكينبرج

للسيميوطيقا العامة؟ وكيف ينظر إلى العلامة والبلاغة والصورة؟ ومن جهة أخرى، كيف يتعامل هذا الباحث مع الإرث السيميائي الغربي؟ تلكم هي أهم النقط التي سوف نحاول التركيز عليها في موضوعنا هذا.

سيرة جان ماري كلانكنبرج:

يعد البلجيكي جان ماري كلانكينبرج (Jean–Marie Klinkenberg) من أهم السيميائيين المعاصرين في الثقافة الغربية، وهو أستاذ علوم اللغة بجامعة لييج (Liège)، كما أنه متخصص في السيميوطيقا والبلاغة والثقافة الفرنكفونية. وقد بلور معظم نظرياته واجتهاداته وأعماله اللسانية والبلاغية والسيميوطيقية في أحضان «جماعة مو» (Groupe Mu). وبسبب هذا، فقد وجه السيميوطيقا بصفة خاصة، والثقافة بصفة عامة، وجهة معرفية (بعد ذهني تجريدي)، ووجهة سوسيولوجية (بعد تداولي سياقي). وقد نشر الباحث أكثر من خمسمائة (500) عمل، وترجمت هذه الإنتاجات إلى أكثر من خمس عشرة لغة منذ كتابه الأول: «البلاغة العامة» سنة (1970) إلى كتابه الأخير: «الأدب البلجيكي» سنة (2005). ومن هنا، فقد ربط هذا السيميائي البلجيكي السيميوطيقا منذ كتابه الأول ببعدين أساسيين: وهما: البعد المعرفي والبعد التداولي، كما كانت تفعل «جماعة مو» التي تربى بين أحضانها، وكانت تنطلق في مقارباتها التحليلية والمنهجية من المستندين: السيميائي والبلاغي معاً.

هذا، وقد كان جان ماري كلانكينبرج من مؤسسي السيميوطيقا البصرية أو المرئية (la sémiotique visuelle) إلى جانب «جماعة مو» (Groupe Mu)، وأمبرطو إيكو (Umberto Eco)، وكريستيان ميتز (Christian Metz)، وجاك فونتانيي (Jacques Fontanille). ويعني هذا أنه كان يهتم بدراسة الصورة الأيقونية والتشكيلية في علاقتها بالنصوص والخطابات اللفظية، كما كان يخصص الإنتاجات الأدبية الفرنكفونية بدراسات سيميائية وبلاغية متنوعة ومفيدة، رؤية وتصوراً وتطبيقاً.

السيميوطيقا العامة:

ألف السيميوطيقي البلجيكي جان ماري كلانكينبرج (Jean–Marie Klinkenberg) كتابه: «مختصر السيميوطيقا العامة» (Précis de sémiotique générale) في طبعته البلجيكية سنة 1996[1]، وكانت طبعته الفرنسية سنة 2000[2]، ويضم الكتاب (486) صفحة من الحجم المتوسط. وقد تناول فيه الدارس مفهوم العلامة في ضوء مجموعة من التصورات والنظريات الغربية، وذلك ابتداءً من فرديناند دوسوسير، وبيرس، مروراً برولان بارت، وكريماص، و«جماعة مو».

ويرى الباحث بأن السيميوطيقا تبحث عن الدلالة والمقصدية التواصلية، وأن السيميوطيقا بمثابة العلم الذي تتقاطع عنده مجموعة من العلوم كاللسانيات، والأنتروبولوجيا، والفلسفة، وعلم التواصل. ويرتكز الدارس في أبحاثه الفردية والجماعية

(1) Klinkenberg, J-M. M: *Précis de sémiotique générale*. Bruxelles: De Boeck.1996.
(2) Jean-Marie Klinkenberg: Précis de sémiotique générale, Duculot, paperback: Paris, Le Seuil, 2000.

على سـيميوطيقا معرفية واجتماعية مبنية على البلاغة والبعد السياقي التداولي. ويعني هذا أنه يدرس العلامات والأنظمة السـميوطيقية في أحضان المجتمع، وذلك في ضوء رؤية معرفيـة وبلاغية، من خلال الجمع بين اللغـة والكلام، أو بين الكفاءة والأداء الإنجازي، وقد اهتم الباحث كذلك بدراسة الصور والأيقونات والرسوم الفضائية.

هـذا، وينطلق الدارس في كتابه هذا من السـيميوطيقا العامة التـي تدرس العلامات في أحضان المجتمع معرفياً وسـياقياً، معتمداً على آراء دوسوسـير، وبيـرس، ورولان بارت، وكريماص، وإيكو. ومن ثم، تهدف السـيميوطيقا العامة عند الباحث إلى دراسة العلامة من وجهة فلسـفية وتاريخية وتصنيفية ووصفية، كما تعنى ببنـاء موضوع علاماتي متكامل نظريـة وتطبيقاً، واقتـراح نماذج أكثر شـكلانية وتجريـداً وعقلانية وصورنة، ودراسـة العلامات بمختلف أنواعها وتجلياتها بنية وتركيباً ووظيفة.

وإذا كانـت السـيميوطيقا الخاصة ذات طابع مجالي خاص، تـدرس أنظمة العلامات من الوجهة التركيبية والدلالية والتداولية، كدراسـة أنظمة العلامات في السـينما أو الصورة، فـإن السـيميوطيقا التطبيقيـة تهتـم بتحليـل النصـوص والخطابـات. ويعد جـان ماري كلانكينبـرج (1996) وأمبرطـو إيكـو[3] (1975) مـن أهم الدارسـين الذين اهتمـوا كثيراً بدراسة السيميوطيقا العامة، وذلك تنظيراً وتأريخاً ووصفاً وتصنيفاً.

وعليـه، يعرفنا جـان مـاري كلانكينبرج فـي كتابه: «مختصـر السـيميوطيقا العامة» بمبادئ السيميوطيقا العامة التي تتمثل في شكلنة الدلالة والمقصدية في بعديهما التركيبي والتواصلـي، كما يرسـم لنا تاريخ العلامة بشـكليها العلمي والفلسـفي فـي حقلها الثقافي الغربـي، وترابطهـا مع مجموعـة من العلـوم والمعارف الإنسـانية والتجريبية، ودراسـة السـيميوطيقا ذهنياً واجتماعياً، بواسطة الجمع بين السيميوطيقا والبلاغة في إطار تصور نظري ومنهجي تطبيقي متكامل، بمعنى أن هذا الدارس يؤسس لسيميوطيقا بلاغية جديدة بامتياز، ذات طابع مادي مرجعي قائم على السياق التداولي.

وعليـه، تهتم السـيميوطيقا العامة كما لدى جان ماري كلانكينبرج بالمبادئ الأساسـية التـي ترتكز عليها النظرية السـميائية، كما تعنى بمدارسـها وتياراتهـا وقضاياها العامة، و تلقـي نظرة تاريخيـة بانورامية حول روادها القدامى، وباحثيهـا المحدثين والمعاصرين، وتهـدف أيضـاً إلى وضـع منهجية وصفيـة إجرائية، ومقاربة تفسـيرية تأويلية لدراسـة الظواهر غير اللسانية. وللتوضيح أكثر، تنشغل السيميوطيقا العامة بمجالات العلامة في مسـتوياتها الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبيـة والتداولية، وتعنى كذلك بتياراتها المختلفة دلالة وتواصلاً، وبناء نماذجها المجردة الصورية، ودراسة سميوطيقا الصورة في أبعادها الأيقونية والتشكيلية والكرافية (الكتابة والخط)، والبحث عن العلاقات الموجودة بين الصورة المرئية والنص اللغوي.

الإطار المنهجي والإبستمولوجي:

يشـتغل جان ماري كلانكينبرج ضمن السيميوطيقا العامة التي تهتم بفلسفة العلامات ومنطقهـا، ودراسـة دلالات العلامات والرموز والإشـارات والأيقونـات، ويتكئ جان ماري

(3) Umberto Eco: Traité de sémiotique générale, 1975.

كلانكينبـرج في هذا المنحى على أعمال كل من فرديناند دوسوسـير، وبيرس، وبنفينسـت، وهلمسليف، وشارل موريس، وأمبرطو إيكو، ورولان بارت، ورومان جاكبسون، وكريماص، وجاك فونتاني، و«جماعة مو». ويتعامل مع مجموعة من الأمثلة اللغوية المأخوذة من اللغة التداولية المعاصرة. كما يدرس العلامات السيميائية في الخطابات اللسانية اللفظية وغير اللفظيـة من خلال مسـتوياتها الصوتيـة، والكرافيـة، والصرفية، والدلاليـة، والتركيبية، والتداولية، وذلك من خلال الجمع بين بعدين متكاملين: البعد المعرفي (البعد السيميوطيقي المجـرد) والبعـد الاجتماعي (البعـد البلاغي والتداولـي). بمعنى أنه يـدرس العلامات في حضـن المجتمع، كما ينص على ذلك فرديناند دوسوسـير في كتابه القيـم: «محاضرات في اللسـانيات العامة»[4] . ومن ثم، يتسـم هذا الكتاب بطابعه العام رؤية وتصوراً، وتشـغيل لغـة وصفيـة بسـيطة وواضحة ومركـزة، وذلك فـي أثناء تقـديم المعلومات السـيميائية، واسـتعراض المعارف المتعلقة بالسيميوطيقا العامة، والتعريف بمدارسها النظرية، وطرح قضاياها الشائكة على المستوى اللغوي والبصري.

نظرية العلامة:

انصـب أكثـر اهتمام جان مـاري كلانكينبرج علـى نظريات العلامة في تنوع مدارسـها وتياراتهـا واتجاهاتها، كما قـدم نظريته حول العلامة من خـلال التركيز على مجموعة من التصـورات، فالعلامـة عند فرديناند دوسوسـير تتكون مـن الدال والمدلـول والمرجع، لكن سوسـير يقصـي المرجع، ويكتفـي بالـدال الصوتي، والمدلـول المفهومي المجرد، ويسـتبعد المرجع الحسـي. ومن ثـم، فإن العلاقة بـين الدال والمدلول هـي علاقة اعتباطيـة أو اتفاقية (conventionnelle)، ولكنهـا هـي علاقـة اصطناعية وسـببية عند بنيفنسـت، وعلاقة تماثلية عند هيجل. ومن هنا، فإذا كانت العلامة ثلاثية عند أرسطو، وفرديناند دوسوسير، وشـارل موريس، وبيرس. فإن العلامة عند جان ماري كلانكينبرج رباعية الأبعاد، فهناك: الحافـز (stimilus) فـي شـكل دال صوتي وكتابـي (الفونيم والكرافيك)، والـدال (مونيم صوتـي)، والمدلول (مفهوم معنوي يتشـكل من مجموعة من السـمات الدلاليـة، وكل تكرار لسـمة معينة يتشـكل من خلالها ما يسـمى بالتشـاكل (Isotopie) ، والمرجـع (الموضوع الحسي):

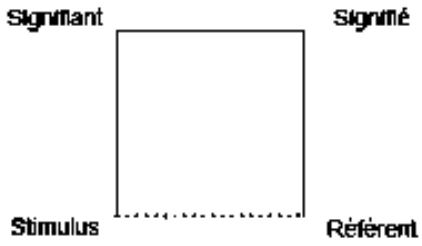

ويعنـي هـذا أن العلاقة بـين الدال والمدلول ليسـت دائماً اعتباطية، بل قـد تكون محفزة وسببية. وينطلق الدارس في تركيزه على الحافز من العلامة البصرية الأيقونية التي تكون في شـكل خط أو كتابة بصرية، ويكون لها علاقة تماثلية مع المدلول. بمعنى أن العلامة في نظرية جان ماري كلانكينبرج تتكون من أربعة عناصر: الدال (الكلمة)، والحافز (الصوت/ المكتوب)، والمدلول، والمرجع. ويتكون المدلول من سـمات دلالية، وقد يكون مفهوماً منطقياً،

(4) Ferdinand de Saussure: Cours de linguistique générale, Payot, Paris, 2005.

أو مفهوماً نفسياً. كما تتخذ العلامة عند الدارس طابعاً تتابعياً، إذ ننتقل على مستوى العلامة من الحافز إلى الدال، فالمدلول، ثم المرجع، ويسمى هذا التتابع المتسلسل بالمسار الإحالي أو المرجعي؛ لأنها تحيل على المرجع، على عكس تصور فرديناند دو سوسير الذي يستبعد المرجع، ويكتفي بثنائية الدال والمدلول.

هذا، ويقسم الباحث جان ماري كلانكينبرج العلامة اللسانية والبصرية على غرار بيرس إلى أربعة أقسام، وهي:

1. الأيقون (L'icône): وهي علامة بصرية محفزة عن طريق المماثلة والمشابهة بين الدال والمدلول، ومن أمثلتها: الصور الفوتوغرافية والخرائط الجغرافية.
2. الإشارة (L'indice): تكون فيها العلاقة بين الدال والمدلول محفزة سببياً ومجاورة، كما هو شأن الدخان الذي يشير إلى وجود النار.
3. الرمز (Le symbole): وهو عبارة عن علاقة اعتباطية تجمع بين الدال والمدلول، مثل: الميزان رمز العدالة، والحمامة رمز البراءة، والليل رمز الحزن، والسيف رمز الشجاعة.
4. العلامة اللسانية أو اللغوية (Le signe linguistique): وهي عبارة عن علامة لفظية خطابية أو نصية أو تلفظية تتحكم الاعتباطية فيها على مستوى علاقة الدال بالمدلول.

وتأسيساً على ماسبق، تدرس السيميوطيقا العامة عند الباحث جان ماري كلانكينبرج مجموعة من العلامات اللغوية والبصرية، كعلامات المرور، والشيكات، والبطاقات البنكية، وعلامات المرور، والرموز، والإشارات، والأيقونات، والشعارات الملاحية والعسكرية، والصور الأيقونية، والصور التشكيلية[5]. ومن ثم، تتميز العلامة السيميائية بثلاث خاصيات رئيسية، وهي:

1. **خاصية الاستبدال:** حيث تحضر علامة، وتغيب علامة أخرى تعويضاً، واستبدالاً، وتناوباً، وإحالة، وتكنية، واستعارة، وترميزاً.
2. **خاصية الاختلاف بين الدال والمدلول:** حيث يختلف الدال عن المدلول، وتتعدد علاقاتهما، فقد تكون علاقة اعتباطية، أو سببية، أو طبيعية، أو تماثلية.
3. **تتميز علاقات العلامات بمجموعة من الخصائص المنطقية:** كالهوية (هو هو)، والاستقراء (من الجزء إلى الكل)، والاستنباط (من الكل إلى الجزء).

كما أن العلامة أنواع عدة، فهناك: الإشارة، والرمز، والأيقون، والاستعارة. ومن جهة أخرى، هناك عند بيرس: الاسم، والمؤشر، والعارض، والمخطط[6]. كما يميز الباحث جان ماري كلانكينبرج بين العلامات السيميائية تصنيفاً وتنويعاً وتنميطاً، يميز أيضاً بين دلالة التعيين (التقرير أو الدلالة الحرفية المباشرة) ودلالة التضمين (الإيحاء والمجاز).

(5) KLINKENBERG, J.-M. (2000), «Structure des signes iconiques», Précis de sémiotique générale, Paris, Seuil, p. 382-394.
(6) KLINKENBERG, J.-M. (2001), «Qu'est-ce que le signe?», dans J.-F. Dortier (dir.), Le langage, Auxerre (France), Sciences humaines, p. 105-112.

وعليه، فالعلاقات بين العلامات عند جان ماري كلانكينبرج قد تكون علاقة اعتباطية اتفاقية بين الدال والمدلول في معزل عن المرجع (الرمز- العلامة اللغوية)، وقد تكون علاقة محفزة بين الدال والمدلول في ارتباط مع المرجع، وقد تكون إما علاقة سببية أو مجاورة (الإشارة)، وإما علاقة تماثلية (الأيقون). ومن ناحية أخرى، يميز جان ماري كلانكينبرج في إطار السيميوطيقا البصرية أو المرئية بين العلامة الأيقونية والعلامة التشكيلية، فالعلامة الأيقونية قائمة على التماثل بين الدال والمدلول، وتحيل مباشرة على المرجع الحسي والواقعي. أما العلامة التشكيلية، فترتبط بالخطوط والكتابة والألوان بعيدة عن كل ترابط تشابهي أو تماثلي. ويعني هذا أن العلامة الأيقونية محفزة تشابهاً وتماثلاً. في حين، تتميز العلامة التشكيلية بكونها علامة اعتباطية.

السيميوطيقا والبلاغة:

يعد جان ماري كلانكينبرج من أهم الدارسين الذين حاولوا الربط بين السيميوطيقا والبلاغة، وإيجاد علاقات وأوجه التقارب والتشابه بينهما تصوراً ومنهجاً وتطبيقاً، وذلك إلى جانب «جماعة مو» التي كرست كل جهودها النظرية والتطبيقية لخدمة الشعرية أو البويطيقا (**Poétique**)، سواء أكنت شعرية لسانية أم بصرية. ومن ثم، تشكل البلاغة جزءاً إبداعياً من النظام السيميوطيقي الدلالي والاجتماعي والسياقي والمعرفي. بمعنى أن البلاغة تشكل المولد الديناميكي للوحدات الكلامية والإبداعية أداءً وإنجازاً وسياقاً، بينما تشكل السيميوطيقا الجهاز الوصفي الثابت الذي يعمل على رصد العلاقات البنائية، ويبحث عن المضمرات التوليدية التي تتحكم في إنتاج الخطابات سطحاً وتمظهراً. وإذا كانت السيميوطيقا تهتم بالجانب المعرفي الثابت من اللغة، فإن البلاغة تهتم بالجانب الإنجازي والأدائي من الكلام. بمعنى أن البلاغة ذات طابع أدائي وتداولي وسياقي في ارتباطها بالمجتمع، وتتلون في مقاصدها بتنوع السياقات المرجعية والإحالية. وما أحوج السيميوطيقا اليوم إلى الانفتاح على البعد المرجعي والسياقي! كما يلح على ذلك بول ريكور الذي دعا إلى الجمع بين الفهم والتفسير والتأويل، من خلال الانفتاح على الذات والواقع والمقصدية السياقية.

ومن المعلوم أن شارل موريس كان سباقاً إلى طرح البعد التداولي، حينما حصر المنهجية السيميوطيقية في مستويات ثلاثة: المستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، والمستوى التداولي. بمعنى أن العلامات السيميائية لا تتخذ بعدها الدلالي إلا في انتظامها داخل بنيات تركيبية ودلالية وسياقية. وقد اشتغلت «جماعة مو» كثيراً على هذه التصورات من خلال الجمع بين هذه المستويات المنهجية ، والانفتاح على اللسانيات اللغوية والبصرية، ودراسة علاقة النص بالصورة الأيقونية والتشكيلية[7]. وهذا ما دفع جان ماري كلانكينبرج إلى تمثل المقاربة البلاغية في دراسة الصور التشكيلية والصور الأيقونية في كثير من دراساته اللسانية والسيميائية، ولاسيما دراساته التي حلل فيها علاقة الصورة بالنص الأدبي. أي: لقد اهتم جان ماري بإبراز العلاقات الموجودة بين البلاغة والسيميوطيقا، بعد إنجاز العديد من الأبحاث الفردية والجماعية مع «جماعة مو» لمدة أربعين سنة[8] . من جهة أخرى، فقد

(7) Groupe μ: Traité du signe visuel. Pour une rhétorique de l'image. Paris: Seuil.1992.
(8) Klinkenberg, J-M.: Sept leçons de sémiotique et de rhétorique. Toronto: GREF.1996.

انشغل جان ماري كلانكينبرج كثيرا بالمفاهيم اللسانية، وخاصة المفاهيم السوسيرية منها، كالدال والمدلول، واللغة والكلام، واللسانيات والسيميائيات، والمستوى التأليفي والمستوى الاستبدالي، وثنائية السانكرونية والدياكرونية، وثنائية التضمين والتعيين، أو التقرير والإيحائية، وثنائية الشكل والمضمون، كما اهتم كذلك بالخطاب في أبعاده المنهجية ومستوياته اللسانية: الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية، والبلاغية، ودراسة البلاغة عن طريق التركيز على الصور البيانية، والمحسنات البديعية، والحجاج التأثيري والإقناعي.

وهكذا، يرى جان ماري كلانكينبرج أن البلاغة فن الكلام، وليس فن اللغة. ويعني هذا أن السيميوطيقا مرتبطة باللغة. في حين، ترتبط البلاغة بالكلام والبعد الإنجازي التداولي البراجماتي. ويعني هذا أن البلاغة شقيقة البراجماتية بشكل وثيق، مادامتا قائمتين على الكلام والإنجاز والأداء وأفعال الكلام. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن البلاغة نظام إبداعي ديناميكي تداولي، بينما السيميوطيقا نظام وصفي ثابت، يهتم بوصف الأنظمة اللسانية وغير اللسانية وصفا وتقعيداً وتنظيراً، بغية البحث عن الأنظمة الثابتة المضمرة التي تتحكم في توليد الدلالة والبعد التواصلي. ومن ثم، فالبلاغة مقاربة اجتماعية ومقامية، تنبني على نظرية الأفعال الكلامية في سياقها الحواري والإنجازي. والآتي، أن البلاغة ترتبط بالتحولات المجازية والإيحائية، وترصد مجمل الانزياحات الصوتية والبصرية والدلالية والتركيبية والإيقاعية من خلال انتهاكها للمعايير المألوفة والمتداولة. أما عن السبب وراء اهتمام جان ماري كلانكينبرج بالبلاغة والسيميوطيقا، فهو انتماؤه إلى «جماعة مو» التي اهتمت خصوصا بآليات الشعرية أو البويطيقا ، حيث ركزت كثيراً على الصور البلاغية والحجاج، من خلال الاستعانة بالبنيوية واللسانيات والسيميائيات، مع الاستفادة من أفكار فرديناند دوسوسير، وبيرس، ورومان جاكبسون، ورولان بارت، وكريماص، وأمبرطو إيكو. وقد اهتمت «جماعة مو» بالبلاغة العامة بواسطة الانفتاح على مجموعة من المقارب المتعددة الاحتصاصات: اللسانيات، وسوسيولوجيا الثقافة، والفلسفة، والبيوكيمياء، وعلم الجمال، وتاريخ السينما. كما اعتنت بدراسة الصور البلاغية المختلفة داخل نصوص لغوية معينة، وخطابات بصرية مختلفة، في ضوء رؤية معرفية نسقية، ومنهجية سياقية تداولية، تنبني على تجريد الأنظمة الخطابية، واستكشاف التفاعلات السياقية البراجماتية، مع الاهتمام بالصورة الأيقونية والتشكيلية الثابتة أو الصورة السينمائية المتحركة. ويعني كل هذا أن «جماعة مو» كانت تستهدف تأسيس سيميوطيقا بلاغية عامة وخاصة، بغية معرفة أنظمة اللغة والكلام معرفياً وسياقياً.

السيميوطيقا البصرية أو البلاغة المرئية:

يعد جان ماري كلانكينبرج من أهم المؤسسين للسيميوطيقا البصرية أو البلاغة المرئية التي تعد جزءاً من السيميوطيقا العامة، وهي سيميائية تهتم بدلالة الصورة، مع رصد بعدها التواصلي والسياقي والوظيفي. ومن ثم، فهو يدرس الصور البصرية ونصوصها الموازية والمجاورة من خلال التشديد المنهجي على البعد المعرفي والبعد التداولي. وقد اعتمد جان ماري كلانكينبرج في ذلك على رولان بارت الذي أعد دراسة قيمة تحت عنوان: «بلاغة الصورة» سنة 1964. وتعد هذه الدراسة رائدة من نوعها في مجال السيميوطيقا

البصرية، مستعملاً في ذلك ثنائية التضمين والتعيين، ولاسيما في دراسته للصور الإشهارية والتشكيلية والأيقونية على حد سواء، ونستحضر من بين هذه الدراسات السيميائية التطبيقية دراسته التحليلية المشهورة للصورة الإشهارية المتعلقة بعجائن بانزاني (Panzani). ومن ثَمَّ، لم تتحقق سميأة الصور البصرية والمرئية بطريقة علمية، وتصنيفها بطريقة تجريبية، إلا مع الباحث السيميائي أبراهام مول (Abraham Moles) سنة 1978. وبهذا، يكون رولان بارت وأبراهام مول وأعضاء «جماعة مو» من المؤسسين الفعليين للسيميوطيقا البصرية أو المرئية. وقد أسهم جان ماري كلانكينبرج، ضمن دراساته السيميائية والبلاغية التي خصصها للصورة والأيقون والكتابة الخطية، في بلورة سيميوطيقا بصرية أو بلاغة مرئية متميزة، ترصد التفاعلات الموجودة بين النص والصورة، من خلال الاعتماد على اللسانيات والبلاغة والسيميوطيقا، بغية تفسير ما هو بصري وأيقوني وتشكيلي وإشهاري.

خلاصات ونتائج:

وهكذا، نصل إلى أن كتاب: «مختصر السيميوطيقا العامة» لجان ماري كلانكينبرج من أهم الكتب التي تهتم بتأسيس سميوطيقا نظرية عامة، تستجلي مجالات هذا العلم الجديد، وترصد نظرياته وتياراته ومدارسه واتجاهاته اللغوية والبصرية، مع استكشاف مواقفها حول مجموعة من القضايا اللغوية واللسانية والسيميائية، وتتبع تاريخ الأبحاث السيميائية سواء أكنت فردية أم جماعية تعريفاً ووصفاً ونقداً. دون أن ننسى أن هذا الكتاب يقدم نظرية عامة حول نظرية العلامة تنظيراً وتفريعاً وتصنيفاً وتطبيقاً، كما يطرح مقاربة جديدة لدراسة العلامات بصفة عامة، ودراسة العلامات الأيقونية والتشكيلية بصفة خاصة، وهذه المقاربة هي في الحقيقة مقاربة بلاغية بامتياز؛ بمعنى أن جان ماري كلانكينبرج يركز كثيراً على البعد البلاغي في دراسة العلامات السيميائية، كما يستعين بالمرجع الإحالي والسياق التداولي لخدمة السيميوطيقا الوصفية. أي: إنه يجمع في تصوراته النظرية والتطبيقية بين الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي الإنجازي في مقاربة الظواهر الأدبية والسيميائية والبصرية، قصد تثبيت الأنظمة الثاوية العميقة التي تتحكم في توليد الخطابات والنصوص والكتابات والصور سطحاً وتمظهراً.